

الطارئون في الفكرة

أحمد الملا(*)

نهابون في عبورهم، لا يمرون خفافاً مثلما توهمت القصيدة، بل ينبشون الأرض بضراوة الحديد، تاركين خلفهم أثراً وحيداً يفوح بالخراب .
 أولئك هم الطارئون، الذين يتنكرون لصدفة ولدتهم فجأة، يزدرون عريق فضة مغبرة وممر، ويستحلون الزجاج في اللمعة، كأنما رهاب عميق من ظلام أطلق ذئابهم للتو في البساتين .
 يا لخشيتهم من حقيقة الأوادم، مشاعر، أوجاعاً، وأكثر ما يربك وجودهم رغبات صغيرة تفيض بها الأعين . . . لمثل هذا يبنون المتراس بعد المتراس ويتفننون في عزل الناس .
 غايتهم هي دائماً في مكان آخر، مكان هاجر ومجهول .
 الطارئون لا يبتنون لهم مطرحاً في الجمال ولا بريداً، لئلا يملكهم أو يزعزع أرواحهم، وعلى الأرجح ألا يضطرهم يوماً للدفاع عنه أو ربما مراسلته على الأقل .

(*) شاعر من السعودية .

الطارئون، دائماً رحّل لا يرسخون في الفكرة، فهم أقل الناس دفاعاً عن الناس، وأشجعهم
يوم اقتسام الغنيمة .
معمارهم هجين، ولا يحسنون الاقتناء. لديهم الأرض محطة ومنجم للنهب، زوادة
للهرب ليس إلا .
فعلى من تعول أيها الأمل الغفل؟

* * *

لست من الطارئ في شيء، أيها البسيط القادم سعياً لحوالة الطحين. لست منهم يا
مرتحلاً، طلب أرضاً تحن عليك بوظيفة ووسادة قوّسها رهق الأحلام .
رغم أنف الوقت، تعده على رزنامة أهدتكها شريكة الغياب وعلقتها برادة الماء، عسى
وردة العودة تزهر بين شائك وريح. لست منهم يا شقيق التعب. فتم مبكراً،
ستصحو فزعا على جرس الكفيل، سودت أظافرك صبغة الوحدة وأنت تهرع
بكيس إفطار، كنز فسحة، منتهكة على الدوام. لك الرمضاء في صوم رمضان،
في قيظ الشارع ويداك في اللهب. لا تؤاخذني حين أهجر تطافر عرقك، كنت
وحددي في لهاث، وقلبي في المهيب، هارباً من مطاردة أبنية طغت ولا تكن ودأ
لأحد، لم تجد شجرتي نافورة لتستظل ولا موسيقى، لا تمثال ينحت القبح العالق
روحي ولا سينما أدفن جثتي فيها. وكيف أتجرد وأغتسل والبحر مخطوفاً وراء
البحر؟

لست منهم، نعم جسّدك طارئاً. لكنهم الطارئة قلوبهم. ترعى في البسيطة بين أقرانك،
يتامى الحياة وأراملها، فيما يشيخون ويسبقون أكفانهم بوقف يتطهرون به من
ظلامات وارث من الحيف .
يذبحك التذکر ولا أسلاف لهم . فعد من مقهى الجالية باكراً وفي طمأنينة الله نم، يا
رفيق .

* * *

ويلنا منهم!

ويلنا عليهم!

أراهم يتصلون كأنهم الليل، يتلاعب في ملامح الشمعة، يلجأون للغانية العجوز، جنية العزلة سلواهم الوحيدة. الغريب أليفهم في الملمات. والغربة مأواهم يوم لا مأوى لهم.

الطارئون لن يجرؤوا مرة على الجرأة، لم يعهدوا أنفسهم وقوفا في الموجة، بل سمتهم امتطاء العابر والمؤقت، قاربهم جاهز في النفير: النجاة النجاة! عند كل فيض. ويا له من شراع بائس لم يعهد الوحش ابتكاره بعد! فالبهيمة تتذكر ذريتها قبل الافتراس وقبيل الفزع. الطارئون لا يحسنون الاقتناء، لا يتقنون المستقبل ولا ينتمون له.

م ٢٠٠٦/٣/٢٧